المنهج التربوي القرآني وأثره في إصلاح الفرد

أ.م.د. مروان صباح ياسين

الجامعة العراقية - كلية الآداب

المقدمة

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فإن موضوع التربية الصحيحة القائمة على أساس المنهج التربوي القرآني، المستمد من الأصول الشرعية المستمدة من منهج القرآن الكريم ومنهج النبي ﷺ، من أهم المواضيع التي تبني شخصية الإنسان، الذي يبني نفسه من خلال تغييرها نحو الأحسن، ويبني المجتمع من خلال تغييره، ويعبر الحاضر إلى المستقبل، ويعيد للأمة إشراقتها وتأثيرها الإنساني في العالم.

وكانت طبيعة البحث مكونة من خلال الأمور التالية: المقدمة ذكرت فيها أهمية الموضوع وخطة البحث فيه، وأما المبحث الأول فكان مبحثاً تمهيدياً ذكرت فيه تعريف المنهج لغةً واصطلاحاً، وتعريف التربية لغةً واصطلاحاً، وذلك للقاعدة العلمية "المجهول من جميع الوجوه لا يمكن طلبه".

وأما المبحث الثاني فكان عنوانه: أهمية المنهج التربوي القرآني في واقعنا المعاصر، وذكرت فيه بيان أهمية هذا المنهج الإسلامي المعتدل في تربية الجيل المسلم، وخاصة في هذه الظروف العصيبة التي تمر بها.

وأما المبحث الثالث فعنونته: شخصية النبي ﷺ التربوية، وذكرت فيه أهم سمات النبي ﷺ، التي كان تتسم بها هذه الشخصية الفذة التي لم يعرف لها مثيل في التاريخ.

وأما المبحث الرابع فكان عنوانه: أساليب النبي ﷺ في التربية، وذكرت فيه أهم الأساليب التي كان يتبعها النبي ﷺ في منهجه التربوي في التربية والتوجيه والتعليم لأصحابه ومن بعد امته الإسلامية.

وأما المبحث الخامس فكان عنوانه: معالجات وحلول من المنهج التربوي القرآني، ذكرت فيه أهم المعالجات والحلول التي نأخذها من منهج النبي ﷺ في التربية والتعليم والتوجيه، لمجتمعنا في الوقت الحاضر.

وأما الخاتمة فذكرت فيها النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث المتواضع.

وأما المصادر فذكرت فيها المصادر التي اعتمدت عليها في هذا البحث المتواضع.

هذا وأسأل الله سبحانه وتعالى التوفيق والسداد في هذا البحث المتواضع وسائر حياتي إنه ولي ذلك والقادر عليه.

المبحث الأول

تعريف المنهج والتربية

أولاً: تعريف المنهج لغة واصطلاحاً:

المنهج: لغة: من النهج، وهو الطريق الواضح البيّن، يقال: طرق نهجة، أي: واضحة، والمنهاج: الطريق الواضح، وفي التنزيل: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[١]، وأنهج الطريق: وضح واستبان وصار نهجاً واضحاً بيناً[٢].

المنهج اصطلاحاً: قال الراغب الأصفهاني: النهج: الطريق الواضح[٣]، ويقول ابن كثير: المنهاج هو الطريق الواضح السهل[٤]، وقال المناوي: المنهج: الطريق المنهوج أي المسلوك[٥].

ويتضح مما سبق أن المنهج: هو الطريق الواضح والأسلوب المتبع والمنهجية هي الطريقة الواضحة بالأسلوب المتبع المحدد.

ثانياً: تعريف التربية لغة واصطلاحاً:

التربية: لغة: التربية اسم مشتق من الربّ، والربّ: يطلق في اللغة على المالك والسيد والمُدّبر والمُربيِّ والقيِّم والمُنعم، ولا يطلق غير مضاف إلا على الله تعالى، وإذا أُطلق على غيره فيقال: رَبُّ كذا.

والربُّ: في الأصل معناه التربية، وهو تبليغ الشيء إلى كماله شيئًا فشيئًا، ثم وصف به للمبالغة كالعدل، وهو نعت من ربَّه يربِّه فهو ربّ، كما قالوا نمة ينمه فهو نم، ثم سمي به المالك لأنه يحفظ ما يملكه ويربيه، وفيه: "ألك نعمةٌ تُربيها" إي: تحفظها، وتُراعيها وتُربيِّها كما يُربي الرجل ولده، يُقال: رَبَّ فُلان ولده يَرُبُّه رَبًّا ورَبَّتَه ورَبَّاه كله بمعنى واحد[٦].

التربية: اصطلاحاً: تعددت تعاريف العلماء في معنى مفهوم التربية، فمنهم من عرفها بأنها: إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حد التمام[٧].

ومنهم من عرفها بأنها: تغذية الجسم وتربيته بما يحتاج إليه من مأكل ومشرب ليشّب قوياً معافى قادراً على مواجهة تكاليف الحياة ومشقاتها، فتغذية الإنسان والوصول به إلى حد

الكمال هو معنى التربية، ويقصد بهذا المفهوم كلّ ما يُغذي في الإنسان جسماً وعقلاً وروحاً وإحساساً ووجداناً وعاطفة(٨).

ومنهم من عرفها بأنها: الرعاية والعناية في مراحل العمر الأدنى، سواء كانت هذه العناية موجهة إلى الجانب الجسمي أم موجهة إلى الجانب الخُلقي الذي يتمثل في إكساب الطفل أساسيات قواعد السلوك ومعايير الجماعة التي ينتمي إليها(٩).

والخلاصة في الأمر أن كل هذه التعاريف تخلص إلى أن المراد بالتربية: هو الاهتمام بالشيء واتمامه على الوجه الأكمل سواء كان تربية أو توجيه أو رعاية أو تغذية، أي كل شيء يغذي الإنسان جسماً وعقلاً وروحاً وإحساساً ووجداناً وعاطفة.

المبحث الثاني

أهمية المنهج التربوي القرآني في واقعنا المعاصر

المنهج التربوي لأي أمة أو حضارة، هو موضوع عظيم الشأن بالغ الأهمية، وهو أساس كل تقدم وازدهار واصلاح، وعنوان كل تغيير ونهضة تقوم به الأمة، وهو الطريق الموصل إلى تهذيب النفوس وتثقيف العقول وبناء الأمم.

والمنهج التربوي القرآني هو الذي أوجد هذه الأمة، انتفضت من تراب الأرض فوصلت إلى علياء السماء، فإذا هي أمة صلبة متماسكة لا مثيل لها، تفتح وتعمّر وتبني وتقيم مُثلاً أخلاقية وإنسانية غير معهودة، انتشر هذا المنهج التربوي في سنوات قليلة في بقاع الارض، ونشر النور والهدى والصلاح.

ومن هنا ندرك سر التربية الإسلامية التي بدأها الرسول ﷺ بتكوين العقيدة قبل نزول الأحكام الشرعية التفصيلية، وفي ضوء هذه الحكمة التربوية كوّن الرسول ﷺ رجالاً عظاماً تكونت منهم أمة قوية استطاعت أن تطبق النظام الإسلامي بأنصع وجوهه، قال تعالى ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًاۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾(١٠).

فلهذا فإن قضية التربية والتعليم موضوع مهم، استأثر باهتمام جميع الأمم، واهتم به العلماء والمفكرون عبر العصور، وحاجة الأمم إلى التربية لا تقل عن حاجاتها إلى المال والقوة والعدة، ذلك لأن الأمة لا يمكنها أن تشق طريقها إلى المجد، وتسلك سبيلها إلى العلياء، إلا إذا نالت نصيباً وافراً وقسطاً كبيراً من التربية السليمة الصحيحة(١١).

ولقد اهتم المسلمون اهتماماً كبيراً بقضية المنهج التربوي القرآني، وعالج أئمتهم ومفكروهم وعلماؤهم هذا الموضوع، وكانت لهم مواقف سديدة، ومناهج أصيلة في هذا المضمار، مقتدين في ذلك برسول الله ﷺ أول معلم في الإسلام(١٢).

وتبرز أهمية هذا المنهج التربوي القرآني كونه يمتاز بالمرونة التي نحتاج إليها في وقتنا الحاضر، فنحتاج إلى كل ما يعمل على تحقيق الأصول من طرائق حديثة مبتكرة، ووسائل تعليمية مخترعة، ومؤسسات تربوية مستحدثة، ومجالات علمية وتعليمية مرنة مفيدة، وذلك حتى ننشأ جيلاً يتصل اتصالاً وثيقاً بالجيل الأول الذي انبثق منه المنهج التربوي الإسلامي في عصر النبي ﷺ وعصر أصحابه(١٣).

إن الاهتمام بالمنهج التربوي القرآني في البلاد الإسلامية في وقتنا الحاضر، أمر مهم في غاية الأهمية، لأن الإمة الإسلامية أمة خاصة في طبيعتها ووضعها، وهي أمة ذات مبدأ وعقيدة ورسالة ودعوة، فيجب أن يكون تعليمها وتربيتها خاضعاً لهذا المبدأ والعقيدة، وهذه الرسالة والدعوة التربية والتعليم هو أداة لإنشاء الأجيال التي تؤمن بهذا المبدأ، وتدين بهذه العقيدة، وتحمل هذه الرسالة، وتؤدي هذه الدعوة، وكل تربية لا تؤدي هذا الواجب فليست تربية إسلامية ولا تعليم إسلامي(١٤).

المبحث الثالث

شخصية النبي ﷺ التربوية

إن الذي يبحث عن المنهج التربوي الإسلامي المعتدل، حتى يسير عليه في حياته ويتخذه مرجعاً، لابد عليه أن يبحث ويدقق النظر في مؤسس المنهج التربوي الإسلامي ألا وهو الرسول القدوة ﷺ، وهو الذي يقول: ((إنما بعثت معلماً))(١٥) فهو أول معلم في الإسلام، وبالتالي يكون الأسوة الحسنة للمعلمين.

إن استعراض حياة الرسول ﷺ العملية، ودراسة طرائقه التربوية، الذي غيّر سلوك أصحابه، فنقلهم من ظلمات الجهل إلى أنوار المعرفة، ومن ضياع الحاضر إلى بناء الحاضر والمستقبل، هذا الاستعراض يؤكد لنا أن رسول الله ﷺ هو المربي العظيم لأجيال المسلمين، وسنحاول هنا أن نبين بعض ملامح شخصيته ﷺ التربوية:

أولاً: حضّه على التعلم والتعليم:

قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ (١٦).

علمّهم وزكّاهم وأمرهم بأن يشيعوا العلم والحكمة بينهم، حيث قال ﷺ: ((ما بالُ أقوام لا يفقهون جيرانَهُمْ، ولا يعلمونهم، ولا يعظونهم، ولا يأمرونهم، ولا يَنْهَوْنهم، وما بالُ أقوام، لا يتعلمون من جيرانهم، ولا يتفقهون، ولا يتعظون، والله ليعلمَن قومٌ جيرانهم، ويفقهونهم، ويعظونهم، ويأمرونهم، وينهونهم، وليتعلمن قوم من جيرانِهم، ويتفقهون ويتعظون، أو لأعاجلنهُم العقوبةَ))(١٧).

إن هذا الموقف العظيم الذي يعتبر التقصير في التعلم والتعليم جريمة اجتماعية، يستحق مرتكبوها العقوبة الدنيوية، هذا الموقف لم يرو التاريخ له مثيلاً في تقديس العلم، قبل النبي ﷺ ولا بعده(١٨).

والعلم المطلوب هو كل علم نافع في أمور الدين والدنيا، يبني الفرد والمجتمع ويفيد الإنسانية.

ثانيا: الرؤوف الرحيم:

المحبة والرحمة والرأفة كان السمة الأبرز في منهج النبي ﷺ التربوي، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١٩).

لقد كانت الرحمة عنده ﷺ تعاليماً وسلوكاً، حيث قال: ((الراحمون يرحمهم الله، أرحموا أهل الأرض يرحمكم أهل السماء))(٢٠).

والمربي المحروم من الرحمة، الغليظ القلب، لا ينجح في عمله، ولا يقبل الناس عليه، قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾[٢١].

ثالثا: اختيار الأسلوب الأنسب لنفسية المتعلم:

التربية الناجحة هي التي تراعي حالة المتعلم الجسمية، واستعداده النفسي والعقلي للفهم، والاستيعاب والتنفيذ أثناء عملية التعليم.

ولننظر إلى توجيهات النبي ﷺ التربوية، وكيف كان يختار الأسلوب الأنسب لنفسية المتعلم، ويختار الوقت المناسب الذي يراعي حالة المتعلم الجسمية والإدراكية والنفسية والصحية أثناء العلمية التربوية.

عن أنس بن مالك ﷺ قال: بينما نحن في المسجد مع رسول الله ﷺ إذ جاء أعرابي وقام إلى ناحية المسجد، وجعل يبول فصاح به الناس وقالوا: ((مه مه)) وقال: ((لا تزرموه)) فتركوه حتى انتهى. ثم دعاه رسول الله ﷺ وقال له: ((إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول، ولا القذر، إنما هي لذكر الله عز وجل والصلاة وقراءة القرآن))[٢٢].

في هذه الحديث النبوي توجيهات تربوية بليغة في مراعاة حالة المتعلم النفسية، والاجتماعية، والجسمية والصحية، لأن كل عملية للتعليم تهمل جانب المتعلم هو عملية فاشلة عميقة[٢٣].

رابعاً: رعايته الفروق الفردية في المتعلمين:

لقد كان المعلم الأول ﷺ شديد المراعاة للفروق الفردية والنفسية بين المتعلمين من المتعلمين من المخاطبين والسائلين، فكان يخاطب كل واحد بقدر فهمه وبما يلائم منزلته، وكان يحافظ على قلوب المبتدئين، فلا يعلمهم ما يعلم المنتهين، وكان يجيب كل سائل عن سؤاله بما يهمه ويناسب حاله.

وللنظر في هذه المواقف التربوية، نجد أن النبي ﷺ يوجه أصحابه كلا حسب قدرته على الاستيعاب وحاجته[٢٤].

عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ (ومعاذ بن جبل رديفه على الرحل) قال: "يا معاذ" قال: لبيك رسول الله وسعديك، قال: "يا معاذ"، قال: لبيك رسول الله وسعديك، قال: "يا معاذ"، قال: لبيك رسول الله وسعديك.

قال: ما عبد يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، صدقاً من قلبه إلا حرّمه الله على النار، قال: يا رسول الله، أفلا أخبر به الناس فيسبشروا؟ قال: "لا" إذا تكلموا(٢٥).

لقد خصّ نبي الله ﷺ بهذا العلم الدقيق قوماً فيهم الضبط وصمة الفهم وأوصى بأن لا يبذل هذا العلم لمن يحسنون فهمه فيتكلوا.

خامساً: مقابلة الإساءة بالإحسان:

إن العلاقات المحببة النشيطة، ينبغي أن تكون ركناً أساسياً في تكوين كل شخصية إنسانية كريمة، لتعيش سعيدة في ذاتها، ولتنشر السعادة فيمن حولها، بيد أن هذا السلوك أشد وجوباً وإلحاحاً في شخصية كل من له سلطان تربوي نفسي، أو سلطان تعليمي توجيهي، أو سلطان إداري إشرافي، فسلامة الصدر، وكبر القلب، وهدوء النفس، كل ذلك عوامل عاطفية عقلية هي أساسية في نجاح تلك العلاقات الإنسانية(٢٦).

المبحث الرابع

أساليب النبي ﷺ في التربية

المنهج التربوي القرآني لابد له من أساليب يتبعها المعلم والمربي في تربية أبناء جيله، والنبي ﷺ هو المعلم والمربي الأول الذي نتعلم منه هذه الأساليب التي نتبعها في حياتنا، فقد كان ﷺ يختار في تعليمه من الأساليب أحسنها وأفضلها، وأوقعها في نفس المخاطب، وأقربها إلى فهمه وعقله، وأشدها تثبيتاً للعلم في ذهنه.

وسنذكر أهم الأساليب التي كان يتبعها النبي ﷺ في منهجه التربوي لأمته، وهذه الأساليب هي للأمة من بعده يتبعها المعلمون والمربون في تعليمهم ومناهجهم الدراسية، فمن هذه الأساليب:

أولاً: القدوة الحسنة:

من أهم وأعظم وأبرز أساليبه ﷺ في التربية والتعليم، التخلق بالسيرة الحسنة والخلق العظيم، فكان إذا أمر بشيء عمل به أولاً ثم تأسى به الناس وعملوا كما رأوه، فكان خلقه القرآن، وجعله الله تعالى أسوة حسنة لعباده، قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (٢٧).

للقدوة تأثير بالغ الأهمية في تربية الفرد وتشكيل المجتمع، فالطفل تتفتح عيناه على الحياة فيجد قدوته أمه وأباه يتطبع بهما، ويقلدهما في كل شيء إذا رآهما يصليان وقف معهما وتعلم الصلاة، وأن أحسّ منهما الصدق كان صادقاً، وإذا جرّب عليهما الكذب صار الكذب ديدنه(٢٨).

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ عندما رأى امرأة تنادي أبنها وتقول: تعال أعطك. قال رسول الله: "وما تعطيه ؟" قالت: أعطيه تمراً، قال النبي ﷺ: " لو لم تعطه شيئاً لكانت كذبة"(٢٩).

نبهها رسول الله ﷺ إلى خطوة المرحلة، وأنها القدوة لطفلها الذي تربيه، فلتنتبه لكلامها.

إن وجود النماذج البشرية المتكاملة، وقيامها أمام الناس في شتى مراحل الحياة النامية، يعتبر من أنجع الطرق التربوية في مجالات الحياة السلوكية والانفعالية والعلمية والاجتماعية، فهذه الطريقة تقدم النموذج الحي الماثل للإنسان ولا سيما للأطفال والفتيان، وتستثير فيهما الميول الفطرية الأولية للاقتداء والتقليد.

فوجود النماذج الحسنة من الشخصيات الإنسانية ذات أهمية كبرى في صياغة السلوك وأنماطه، فالقدوة تقدم الأسلوب العملي الواقعي للحياة، وليس مجرد أقوال وعظات(٣٠).

لقد كان للقدوة الحسنة الأثر العميق في تعليم المسلين وتثقيفهم وتغيير اتجاهاتهم وتعديل سلوكهم والأخذ بيدهم نحو بناء الشخصية الإسلامية والمجتمع الإسلامي.

ثانياً: الموعظة الحسنة:

من الأساليب التي كان يتخذها النبي ﷺ في منهجه التربوي في التربية والتوجيه والتعليم، الموعظة الحسنة، فإن لها تأثيراً فعّالاً، وخاصة عندما تكون على لسان واعظ حكيم، يعرف متى يخاطب النفس البشرية وكيف.

ولكي تكون الموعظة مؤثرة لابد أن تتوفر لها، الأجواء التي تساعدها على شق طريقها إلى النفس مباشرة عن طريق الوجدان، تهزه وتثير كوامنه لحظة من الوقت، وتحتاج الموعظة ضمن هذا السياق غلى القدوة والوسط الذي يسمح بتقليد القدوة ويشجع على التأسي بها، وحين توجد القدوة الصالحة فإن الموعظة تصبح دافعاً من أعظم الدوافع في تربية النفوس، مما يسهم في تغيير سلوك الفرد وإكسابه الصفات المرغوب فيها(٣١).

والإنسان مفطور على تقبل النصيحة خاصة من محبيه وناصحيه، فإذا جاءت من والد محب أو والدة رحيمة أو أخ كبير أو صديق صدوق، أو معلم أو شيخ محترم، فقد تغير مجرى حياته(٣٢).

والتربية الإسلامية تعتمد على الوعظ كطريقة تعليمية مستوحاة مما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ (٣٣).

ومن نماذج الوعظ القرآني ما قاله لقمان لأبنه: ﴿ وَإِذۡ قَالَ لُقۡمَٰنُ لِٱبۡنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴾ (٣٤).

ومن نماذج الوعظ النبوي، ما رواه العرباض ﷺ قال: صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم، ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة، ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع؟ فما تعهد إلينا؟ فقال: "أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبداً حبشياً، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فغن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة"(٣٥).

وعليه فإن الموعظة المؤثرة لا بد أن تحتوي على أمور أساسية منها: الكلمة الطيبة وحسن صياغتها بحيث تصل إلى قلوب السامعين، والعاطفة والحماس فهي الوقود الذي يوصل الكلمة إلى هدفها، والعلم والأخلاق فالعلم جوهر التربية، والأخلاق شرط التأثير، ومن الأمور أيضاً امتلاك القلوب وهي وسيلة الواعظ الحكيم الذي يملك ناصية القلوب فيوجهها بعلم ودراية(٣٦).

ثالثاً: ضرب الأمثال:

ومن الأساليب التي كان يتبعها النبي المربي ﷺ، والتي من الواجب على كل مربي بعده أن يتخذها من ضمن أساليبه في التربية والتعليم، هي التربية بضرب الأمثال.

فقد كان ﷺ يقايس لأصحابه الأحكام ويعلّلها لهم، ويضرب لهم الأمثال لتوضيح ما غمض عليهم.

وضرب الأمثال من الطرائق التعليمية الهامة في التربية الإسلامية، ويراد بالتمثيل تقديم الأفكار أو المعاني بصورة مَثَل يُضرب لتجسيد تلك الأفكار، فهو وسيلة تربوية تعليمية لتقريب ما كان بعيداً، وإيضاح ما كان غامضاً، فالتمثيل يساعدنا على تقديم الأفكار المجردة بصورة محسوسة ملموسة يعرفها كل الناس أو أكثرهم على أقل تقدير، قال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾(٣٧).

ففي كل الأحوال تبقى الأمثال أوقع في النفوس، وأبلغ في الوعظ، وأقوى في الزجر، وأقوم في الإقناع، وقد حفل القرآن الكريم وأحاديث النبي ﷺ بالأمثال تضرب للتذكرة والعبرة، واستعان بها الداعون في كل عصر لنصرة الحق وإقامة الحجة، ويستعين بها المربون ويتخذونها من وسائل الإيضاح والتشويق، ووسائل التربية في الترغيب أو التنفير أو المدح أو الذم(٣٨).

رابعاً: القصة:

القصة نوع من الأدب له جماله وسحره ومتعته، يشغف به الصغار والكبار، والقصة في القرآن الكريم ليست عملاً فنياً مستقلاً في موضوعه وطريقة عرضه وإدارة حوادثه، كما هو الشأن في بقية القصص الفنية.

إنما هي وسيلة من وسائل التربية الإسلامية التي تسهم في بناء الشخصية الإسلامية من خلال توصيل المعلومات والحقائق بطريقة شيقة لذيذة، وتربية الأطفال تربية خلقية صحيحة فهي تضع المثل أمامهم وتستثير ميلهم إلى التقليد وتحرك قابليتهم للاستهواء(٣٩).

والقرآن الكريم يستخدم القصة لجميع أنواع التربية والتوجيه التي يشملها منهجه التربوي، سواء كانت تربية الروح، أو تربية العقل، أو تربية الجسم، فهي سجل حافل لجميع التوجيهات(٤٠).

وقد أبرز القرآن الكريم أهمية القصص الإيجابية وتأثيرها النفسي والأخلاقي في التربية وتهذيب النفوس، قال تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ (٤١).

وكان رسول الله ﷺ أول من سلك نهج القرآن الكريم، وترسم خطاه في توظيف القصة من أجل نشر الوعي وتعميق مبادئ الإسلام في النفوس، حيث نجده ﷺ يتخذ من القصة أسلوباً

مهماً من أساليب الدعوة والتربية، يحملها قيم الإسلام ومعانيه، ويربي عليها الصحابة من رعيل الإسلام الأول، ويوجههم من خلالها إلى استلهام هذا الدين عقيدة في الفكر والتصور وطريقة في السلوك وواقع الحياة(٤٢).

خامساً: الحوار:

من الأساليب التي كان يتبعها النبي ﷺ في منهجه التربوي في التربية والتعليم، الحوار والمساءلة لإثارة انتباه السامعين وتشويق نفوسهم إلى الجواب، وحضّهم على إعمال الفكر.

والحوار أسلوب جميل هين لين نستطيع من خلاله أن نفتح بوابة العقل الآخر لنمده بما نعتقده، دون ان نجرح مشاعره وكبرياءه(٤٣).

ولقد استخدم القرآن الكريم الطريقة الحوارية في خطابه للناس، المسلمين منهم وغير المسلمين، وهي طريقة تقوم على الاستماع والفهم والإدراك أي أنها تقوم على توظيف العقل من أجل إدراك الحقائق.

ولنستعرض نموذج واحد من الحوار النبوي نسترشد بها في ممارستنا للتربية بالحوار:

جاء رجل الى رسول الله ﷺ يشتكي جاره، فيصرفه رسول الله ﷺ ويطالبه بالصبر ويقول: "اذهب واصبر"، وجاء الرجل مرتين وثلاثاً ورسول الله ﷺ يطالبه بالصبر، ثم أمره رسول الله ﷺ فقال: "اذهب فضع متاعك على ظهر الطريق"، وجاء الناس يتساءلون ويعرفون السبب، وجاء الجار المؤذي وقال: يا رسول الله لقد لقيت من الناس، قال رسول الله ﷺ: "وما لقيت منهم؟" قال: يلعنوني، قال ﷺ: "قد لعنك الله قبل الناس"، قال: إني لا أعود.. فأرسل رسول الله ﷺ إلى الرجل وقال له: "ارفع متاعك فقد كفيت"(٤٤).

أسلوب حواري عملي في التربية، استخدم فيه رسول الله ﷺ الضغط الاجتماعي على جار سيء، لم يردعه صبر جاره عليه، فردعه الضغط الاجتماعي(٤٥).

هذه هي أهم الأساليب التي كان يستخدمها النبي ﷺ في منهجه التربوي في التربية والتعليم والتوجيه، وهي بمثابة دستور في التربية والتعليم تنتهجه الأمة الإسلامية من بعده لي، وذلك حتى ننشأ جيلاً يسير على المنهج التربوي الإسلامي الذي رسمه النبي ﷺ لأمته من بعده.

وهناك أساليب كثيرة لم نذكرها خشية الإطالة ومن أراد الاستزاده في هذه الأساليب فليراجع كتاب "السنة التربوية رؤية تربوية للدكتور سعيد اسماعيل علي" وكتاب "أساليب الرسول ﷺ في الدعوة والتربية ليوسف خاطر حسن الصوري".

المبحث الخامس

معالجات وحلول من المنهج التربوي الإسلامي

المنهج التربوي القرآني صالح لكل زمان ومكان، ولهذا يجب علينا أن نأخذ الحلول والمعالجات من هذا المنهج المعتدل الرصين الذي رسمه لنا المعلم والمربي الأول في الإسلام النبي محمد ﷺ، الذي ربّى جيلاً يُقتدى به على مرّ العصور والأزمان.

الحلول والمعالجات التي يجب أن نأخذها من المنهج التربوي الإسلامي لواقعنا المعاصر الذي ابتعدنا فيه عن هذا المنهج المعتدل في التربية والتعليم والتوجيه، والنتيجة كانت أننا وصلنا إلى أدنى المستويات في كافة المناهج التربوية، بعد إن كنا في ركب الدول المتقدمة في كل الميادين.

ومن هذه المعالجات التي يجب علينا أن نتبعها:

أولاً: الرجوع إلى المنهج التربوي الإسلامي الذي رسمه لنا الرسول ﷺ لأصحابه ومن بعدهم لأمته، لأن الرجوع إلى هذا المنهج الأصيل، نجد فيه كل الحلول للمشاكل التي تواجهنا في العصر الحاضر.

ثانياً: من الحلول في المنهج التربوي الإسلامي إعادة النظر وتقويم المناهج التربوية الحديثة المتبعة في التربية والتعليم، وذلك لابتعادها عن المنهج الإسلامي المعتدل.

ثالثا: الابتعاد عن المناهج التربوية الغربية التي غزت مجتمعاتنا العربية والإسلامية، هذه المناهج التي تحاول النيل من الإسلام بكل السبل، وذلك من خلال التقليد الأعمى في كل شيء لا يليق بمجتمعنا وديننا، وينتج عن ذلك التحلل الأخلاقي لدى الطلبة والمربين.

رابعاً: الابتعاد عن المناهج التربوية المتشددة التي تنتسب للإسلام بهتاناً وزوراً، وتنتهج منهاجاً معادياً للإسلام والمسلمين من خلال الفتاوي التكفيرية والتربية المتطرفة للمجتمع بإسم الدين.

خامساً: الاهتمام بالمؤسسات التربوية والتعليمية، والنهوض بها من واقعها المتدني، وذلك من خلال الرقي بها من حيث الاهتمام بكافة الأمور الإدارية والتنظيمية المتبعة في نظم الدول المتقدمة.

سادساً: توعية المجتمع بضرورة النهوض بواقع المنهج التربوي الإسلامي، من ناحية توعية الآباء والأمهات بالاهتمام بتربية ابنائهم تربية صحيحة معتمدة على المنهج الإسلامي المعتدل الذي علمنا إياه المربي الأول ﷺ.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. ﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ﴾[٤٦].

فبعد هذه الرحلة العطرة والسيرة المباركة التي قضيتها مع هذا البحث والتي توصلت فيه إلى النتائج التالية:

١- إن موضوع التربية الصحيحة القائمة على المنهج التربوي الإسلامي من أهم المواضيع التي تبني شخصية الإنسان.

٢- المنهج: هو الطريق الواضح والأسلوب المتبع والمنهجية هي الطريقة الواضحة بالأسلوب المتبع المحدد.

٣- التربية: هي الاهتمام بالشيء واتمامه على الوجه الأكمل سواء كان تربية أو توجيه أو رعاية أو تغذية، أي كل شيء يغذي الإنسان جمساً وعقلاً وروحاً وإحساساً ووجداناً وعاطفة.

٤- تكمن أهمية المنهج التربوي الإسلامي بأنه هو الذي نهض بهذه الأمة، فوصلت به إلى علياء السماء.

٥- تبرز أهمية هذا المنهج التربوي الإسلامي كونه يمتاز بالمرونة التي نحتاج عليها في وقتنا الحاضر.

٦- امتازت شخصية النبي ﷺ التربوي بعدة ميزات تجعله المربي والمعلم الأول في الإسلام.

٧- المنهج التربوي الإسلامي لابد له من أساليب يتبعها المعلم والمربي في تربية أبناء جيله، والنبي ﷺ هو المعلم والمربي الأول، الذي نتعلم منه هذا الأساليب التربوية في التربية والتعليم.

٨- الواقع التربوي المعاصر الذي نعيشه لابد له معالجات وحلول عدة، نأخذها من المنهج التربوي الإسلامي المعتدل الذي علما إياه النبي ﷺ.

هوامش البحث ومصادره:

(١) سورة المائدة الآية ٤٨.

(٢) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده ١٧١/٤ – لسان العرب لابن منظور ٣٨٣/٢ – تاج العروس للزبيدي ٢٥١/٦.

(٣) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص٨٢٦.

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٧٦٠/٢.

(٥) التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي ص٣١٧.

(٦) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ١٨٠/٢ – لسان العرب لابن منظور ٤٠١/١ – تاج العروس للزبيدي ٤٦٢/٢.

(٧) التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي ص٩٥.

(٨) أصول الفكر التربوي في الإسلام لعباس محجوب ص١٥.

(٩) الأهداف التربوية للعبادات في الإسلام لمحمد حسين أحمد ص١٤.

(١٠) سورة الفتح الآية ٢٩. – وينظر: التربية ودورها في تشكيل السلوك لمصطفى محمد الطحان ص١١.

(١١) ينظر: التربية في القرآن لمحمد عبد الله السمان ص١٤.

(١٢) ينظر: التربية في الإسلام لأحمد فؤاد الأهواني ص٨.

(١٣) ينظر: الرسول العربي المربي للدكتور عبد الحميد الهاشمي ص٤٠٠.

(١٤) ينظر: نحو التربية الإسلامية الحرة لأبي الحسن الندوي ص٣.

(١٥) الحديث رواه الإمام مسلم، ينظر: المسند المستخرج على صحيح مسلم لأبي نعيم ١٤٦/٤ – رقم٣٤٩١.

(١٦) سورة الجمعة الآية ٢.

(١٧) الحديث أخرجه: رواه الطبراني في الكبير، ينظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ١٦٤/١.

(١٨) ينظر: المدخل الفقهي العام لمصطفى الزرقا ٦٤١/٢.

(١٩) سورة التوبة الآية ١٢٨.

(٢٠) الحديث اخرجه الحاكم في المستدرك ١٧٥/٤.

(٢١) سورة آل عمران الآية ١٥٩. – ينظر: الرسول المعلم للشيخ عبد الفتاح ابو غدة ص٢٢.

(٢٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ٢٣٦/١ – رقم ٢٨٥.

(٢٣) ينظر: السنة النبوية رؤية تربوية للدكتور سعيد اسماعيل علي ص٣٥٢.

(٢٤) ينظر: الرسول العربي المربي للدكتور عبد الحميد الهاشمي ص٤١٢.

(٢٥) الحديث أخرجه: البخاري في صحيحه ١٧٠/٧ – رقم ٥٩٦٧.

(٢٦) ينظر: ينظر: أساليب الرسول في الدعوة والتربية ليوسف خاطر الصوري ص٣٥٦.

(٢٧) سورة الأحزاب الآية ٢١.

(٢٨) ينظر: أساليب الرسول في الدعوة والتربية ليوسف خاطر الصوري ص٣٥٦ – الهدي النبوي في تربية الأولاد في ضوء الكتاب والسنة للدكتور سعيد بن علي القحطاني ص١٣١.

(٢٩) الحديث أخرجه: أبو داود في سننه ٣٤٣/٧- رقم ٤٣٣٩.

(٣٠) ينظر: الرسول العربي المربي للدكتور عبد الحميد الهاشمي ص٤٤٢.

(٣١) ينظر: منهج التربية الإسلامية لمحمد قطب ١٧٨/١ – الهدي النبوي في تربية الأولاد في ضوء الكتاب والسنة للدكتور سعيد بن علي القحطاني ص١٣٤.

(٣٢) ينظر: نحو توحيد الفكر التربوي في العالم الإسلامي لمحمد فاضل الجمالي ص١١.

(٣٣) سورة يونس الآية ٥٧.

(٣٤) سورة لقمان الآية ١٣.

(٣٥) الحديث أخرجه أبو داود في سننه ١٦/٧- رقم٣٩٩١.

(٣٦) ينظر: أساليب الرسول ﷺ في الدعوة والتربية ليوسف الصوري ص٦٧.

(٣٧) سورة العنكبوت الآية ٤٣. – ينظر: الرسول العربي المربي ص٢١٢.

(٣٨) ينظر: مباحث في علوم القرآن لمناع القطان ص٢٤٧.

(٣٩) ينظر: التربية وطرق التدريس لصالح عبد العزيز وعبد العزيز عبد المجيد ٢٤٧/١.

(٤٠) ينظر: منهج التربية الإسلامية لمحمد قطب ١٩٣/١.

(٤١) سورة يوسف الآية ٣.

(٤٢) ينظر: السنة النبوية رؤية تربوية للدكتور سعيد اسماعيل علي ص٣٤٥.

(٤٣) ينظر: الأساليب التربوية في القرآن والسنة لنسيبة المطوع ص٧٤.

(٤٤) الحديث أخرجه: أبو داود في سننه رقم ٤٤٨٦.

(٤٥) ينظر: الرسول العربي المربي ص١٨٠.

(٤٦) سورة النمل الآية ٥٩.

المصادروالمراجع

- **بعد القرآن الكريم**

١- الأساليب التربوية في القرآن والسنة لنسيبة عبد العزيز العلي المطوع، الكويت، ١٤٢٢هـ.

٢- أساليب الرسول في الدعوة والتربية ليوسف خاطر الصوري، صندوق التكافل لرعاية أسر الشهداء والأسرى.

٣- أصول الفكر التربوي في الإسلام لعباس محجوب، دار ابن كثير، سوريا- مؤسسة علوم القرآن، عجمان.

٤- الأهداف التربوية للعبادات في الإسلام لأحمد محمود حسين عياد، دار الزهراء للنشر والتوزيع، ٢٠١٠م.

٥- تاج العروس من جواهر القاموس لمحمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الملقب بمرتضى الزبيدي ت١٢٠٥هـ، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

٦- التربية في الإسلام للدكتور أحمد فؤاد الأهواني، دار المعارف بمصر،

٧- التربية في القرآن لمحمد عبد الله السمان

٨- التربية ودورها في تشكيل السلوك لمصطفى محمد الطحان، دار المعرفة- بيروت لبنان، ط١، ١٤٢٧هـ.
٩- التربية وطرق التدريس لصالح عبد العزيز وعبد العزيز عبد المجيد، دار المعارف، ط١٦، ١٩٧٦.
١٠- تفسير القرآن العظيم: للحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت٧٧٤هـ) تحقيق: الدكتور السيد محمد السيد والدكتور وجيه محمد أحمد ومصطفى فتحي عبد الحكيم وسيد إبراهيم صادق - دار الحديث القاهرة ١٤٢٦هـ.
١١- التوقيف على مهمات التعاريف لزين الدين محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين المناوي ت١٠٣١هـ، عالم الكتب- القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ.
١٢- الجامع المسند الصحيح المختصر من امور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه "صحيح البخاري" لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة البخاري ت٢٥٦هـ، تح قيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.
١٣- الرسول العربي المربي للدكتور عبد الحميد الهاشمي، دار الثقافة للجميع، دمشق، ١٤٠١هـ.
١٤- الرسول المعلم ﷺ للشيخ عبد الفتاح ابو غدة، اصدار موقع نصرة رسول الله.
١٥- السنة النبوية رؤية تربوية للدكتور سعيد اسماعيل علي، دار الفكر العربي- القاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ.
١٦- سنن أبي داود لسليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير السجستاني ت٢٧٥هـ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، ط١، ٢٠٠٩م، " باب ما يذكر في قرن المائة ".
١٧- لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن علي جمال الدين ابن منظور الأنصاري ت٧١١ه، دار صادر- بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.
١٨- مباحث في علوم القرآن لمناع بن خليل القطان ت١٤٢٠ه، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط٣، ١٤٢١هـ.
١٩- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد لأبي الحسن نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ت٨٠٧ه، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي- القاهرة، ١٤١٤هـ.
٢٠- المحكم والمحيط الأعظم لأبي الحسن علي بن اسماعيل بن سيده المرسي ت٤٥٨هـ، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٤٢١هـ.
٢١- المدخل الفقهي العام لمصطفى أحمد الزرقا، دار القلم- دمشق، ط٢، ١٤٢٥هـ.
٢٢- المستدرك على الصحيحين: لمحمد بن عبد الله أبي عبد الله الحاكم النيسابوري (ت٤٠٥هـ) تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا - دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

٢٣- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ "صحيح مسلم" لأبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ت٢٦١هـ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي- بيروت، رقم٢٦٧٠.

٢٤- المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني ت٤٣٠هـ، تحقيق: محمد حسن محمد الشافعي، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٤١٧هـ.

٢٥- مفردات ألفاظ القرآن: للعلامة الراغب الأصفهاني (٤٢٥هـ) تحقيق: صفوان عدنان داودي- دار القلم دمشق والدار الشامية بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

٢٦- منهج التربية الإسلامية لسيد قطب، دار الشروق-بيروت، ١٩٨١م.

٢٧- نحو التربية الإسلامية الحرة في الحكومات والبلاد الإسلامية لأبي الحسن علي الحسني الندوي، دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٣٨٨هـ.

٢٨- نحو توحيد الفكر التربوي في العالم الإسلامي للدكتور محمد فاضل الجمالي، مجلة المسلم المعاصر- لبنان.

٢٩- النهاية في غريب الحديث والأثر لأبي السعادات المبارك بن محمد بن محمد الجزري ابن الأثير ت٦٠٦ه، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي- محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية- بيروت، ١٣٩٩هـ.

٣٠- الهدي النبوي في تربية الأولاد في ضوء الكتاب والسنة للدكتور سعيد بن علي القحطاني، ط١، ١٤٣٢هـ.